﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الحجر: 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اخْتِلافُ سببِ مجيءِ الملائكةِ، لاختلافِ الأمرَيْنِ، منَ البِشارةِ والإهلاكِ

لمّا تمَّ ما أريدَ الإخبارُ عنه من تحاوُرِ الملائكة، مع إبراهيمَ ﷺ، أخبرَ عن أمرهم مع لوطٍ ﷺ، وللإشارةِ إلى أنَّ الملائكة، جاؤوا إلى إبراهيمَ، بعنوانِ الضَّيفِ، وإلى لوطٍ بعنوانِ الرّسالة، فجاءت هذه الآيةُ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الشُّروعُ في بيانِ إهلاكِ المُجرمين، وتَنْجِيَةِ آلِ لوطٍ المؤْمِنينَ

يقولُ اللّه تعالى: فلمّا جاءتِ الملائكةُ لوطًا وأهلَه، قال لهم: من أيِّ الأقوام أنتم، ولأيِّ غَرضٍ جئتم؟ وإنِّي أخاف أن تمسّوني بمكروه؛ وإنَّما قال هذه المقالةَ؛ لأنَّه لم يشاهدْ منَ المرسَلين حين مقاساةِ الشَّدائد ومعاناةِ المكايدِ من قومه الَّذين يريدون بهم ما يريدون - إعانةً ولا مُساعدةً، فأنكر خُذلانَهم له، وتركَهم نصرَه حين المضايقةِ الَّتي حلَّت به بسببِهم حتَّى اضطرَّ إلى أن يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: 80] كما جاء في سورة هود[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

فائِدةُ الفاء في قولِه: ﴿فَلَمَّا﴾:

بيانُ كيفيّةِ إهلاكِ المُجرمين، وتَنْجِيَةِ لوطٍ والمؤمنين

أفادتِ الفاء هنا سرعةَ وصول الملائكةِ إلى لوطٍ ﷺ ودخولِهم بَيْتَهُ[3]، وفيها إشعارٌ بالشّروع بالتّفصيلِ ببيانِ كيفيةِ إهلاكِ المُجرمين وتَنجِيَةِ آلِ لوط حسبما أُجملَ في الاستثناء[4]، ولِتقريرِ أنَّ مجيءَ الملائكة إلى إبراهيمَ ﷺ كان قد سبقَ مجيئَهم إلى قوم لوطٍ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/69.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 14/35.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/69.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/83.

دلالةُ الأداةِ (لَمّا) في السّياقِ:

اشـتـدَّ إنـكـارُ لوطٍ، خوفًا على ضيوفِه، وحسرةً لِما يفعلُه قومُه

لمّا كانتِ الأداةُ (لمّا) بمعنى حين، فتفيدُ وقوعَ شيء لوقوع آخرَ، بحيث يكونُ الثّاني منهما مترتّبًا على الأوّل؛ فهو بمنزلة الجواب المعلَّقِ وقوعُه على وقوع شيءٍ آخرَ أفاد التّعبيرُ بـ﴿فَلَمَّا﴾ أنَّ قولَ لوطٍ للملائكة ترتّبَ على مجيء الملائكةِ عنده، وأنَّ مجيئَهم كان سببًا لنُكرانِه لهم وأنَّ قولَه لهم وقعَ في وقتِ مجيئِهم من غيرِ مُهلةٍ، فكأنَّه ما اشتدَّ إنكارُه لهم إلّا بعد الدّخولِ إلى منزله، خوفًا عليهم وحزنًا لما يفعلُ قومُه[1].

نُكتةُ تَعْديةِ الفعلِ ﴿جَآءَ﴾:

التَّعبيرُ بالمجيءِ، بمعنَى الحُضورِ

لمّا تعدَّى الفعلُ ﴿جَآءَ﴾ إلى المفعولِ ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ بنفسِه من غيرِ حرفِ الجرِّ (إلى) أفادَ أنَّ الملائكة جاؤوا لوطًا وحضروا عنده، فليس المرادُ منَ المجيء مجرَّدَ وُصولِهم إليه من غير حضورٍ، ويدلُّ عليه مخاطبتُه لهم في قولِه: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

دَلالةُ التَّعبيرِ بلفْظِ ﴿جَآءَ﴾:

مَجيءُ المرسلين، تكليفٌ إلهيٌّ من ربِّ العالمين

يحتملُ أنْ يكونَ المرادُ من الفعلِ ﴿جَآءَ﴾، ابتداءَ مجيئِهم لوطًا عليه السلام بمعنَى بمجرَّدِ مجيئِهم وحضورِهم عنده ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ مطلقَ كينونتِهم عنده، بما يشملُ حضورَهم ومحاورتَهم معه، فإنَّ ما حُكي عنه عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي بالعذاب الّذي كنتَ تتوعَّدُهم به، فيمترون فيه، ويكذِّبونَك قد قشَّروا العصا وبيَّنوا له عليه السلام جليّةَ الأمر، فأنَّى يمكنُ أنْ يعتريَه بعدَ ذلك المساءةُ منهم وضيقُ الذَّرْع بهم؟![2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/69.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/83.

سببُ إيثارِ التّعبيرِ بالمجيءِ إلى الآلِ:

قال ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾، مع أنَّ الملائكة قد أتَوا لوطاً ولم يأتوا جميعَ آلِه؛ للإشعار بأنَّ مجيئَهم للوطٍ ولإنجائِه في حكم مجيئِهم لآلِه وأتباعِه، فهو تشريفٌ لآلِه وبشرى لهم بأنَّ أتباعَ الرّسول لهم حكمُ الرّسول في البشارةِ بالتّنجيَةِ منَ العذاب، كما أنَّه لمّا كان لوطٌ عليه السلام وأتباعُه في بلدةٍ واحدةٍ وكان الملائكةُ قد نَزَلوا في مَنْزِلَةٍ بَيْنَ أهْلِه، عبَّرَ بقوله ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾، وإنْ كانَ المَقْصودُ بالخِطابِ والمَجيءِ هو لوطٌ عليه السلام[1].

أتْباعُ الرّسولِ، لهم حُكمُه في البِشارةِ والنّجاةِ منَ العذابِ

بَلاغةُ وضْعِ الظّاهرِ موضعَ المُضمَرِ:

قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، وفيه وُضِعَ المُظهَرُ موضعَ المُضمَر، ولم يقل: (فلمّا جاءهم المرسلون)؛ للإيذان بأنَّ مجيئَهم لتحقيقِ ما أُرسِلوا به منَ الإهلاك للقومِ المجرمين، والتّنجيةِ للوطٍ عليه السلام وأتباعِه، كما أنَّ بالإظهارِ في موضعِ الإضمار مزيدَ تكريمٍ للمُظهَر.

انتحاءُ أسلوبِ الإظهارِ، تكريمٌ للمُظهِرِ

فائِدةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾:

لمّا كانتِ الإضافةُ على معنى اللّام التي تفيدُ الاختصاصَ، أفادتِ الإضافةُ تشريف أتباعِ لوطٍ عليه السلام، فكان التّكريرُ على معنى تقريرِ اختصاصِهم بنبيِّهم ونسبتِهم له، بسببِ اتّباعِهم له وإنكارِهم على القومِ المجرمين المنحرفين.

تَشريفُ أتباعِ الرُّسلِ بنِسبتِهم إليهم

بَلاغةُ تقديمِ ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ على ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

قُدِّمَ المفعول على فاعلِه لإفادة التّأكيدِ والتّخصيص، بمعنى أنَّ الملائكة لم تَأْتِ إلى أحدٍ بعد مغادرتِهم إبراهيمَ عليه السلام سوى إلى آلِ لوطٍ، تعظيمًا لشأنِ مهمَّتِهم في إهلاكِ المُنحرفين وتنجيةِ المؤمنين.

تعظيمُ شأنِ مهمَّةِ الملائكة فيما كُلّفوا به، منَ الإهلاكِ والتّنْجِيةِ

(1) أبو القاسم الكرماني، لباب التفاسير، ص: 998، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/63.

دَلالةُ (ال) في ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾:

تـنـوّعُ وصـفِ الملائكةِ، بتَنوُّعِ مهمّتِهم

(ال) هنا للعهدِ، للإيذانِ بأنَّ الّذين جاؤوا لوطًا همُ المرسَلون الّذين خاطبهم إبراهيمُ بعنوان الرّسالةِ كما تقدَّم، فتنوّعَ وصْفُهم بتنوّعِ مهمّتِهم.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»